سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾

يَبُثُّ : ينشر ويفرق .

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ : تقليبها في مهابها وأحوالها .

إن القرآن إذْ يقول بأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم ، فكأنما هو يضع بذلك أمام المخاطبين معياراً قطعياً يمكن على ضوئه أن يختبروا صدقه ، فمعنى كونه نزل من الله "العزيز " إنه كتاب لن يتمكن أحد من التغلب عليه أبداً، وأنه سيفوز بالغلبة والانتصار على معارضيه وأعدائه على أية حالٍ، لا يقف في وجهه أية عقبات أوْ صعوبات مهما كثرت، وقد تم هذا الإعلان في العهد المكي، عندما كانت الظروف غير مواتيةٍ للقرآن تماماً، ولكن الأحداث والتطورات التي وقعت فيما بعد لم تلبث أن صدقت بهذه الحقيقة على نحوٍ مدهشٍ، حيث نالت دعوة القرآن أكبر نجاحٍ في التاريخ البشري على الإطلاق .

وهكذا يقتضي نزوله من عند الله " الحكيم" أن تكون محتوياته كلها مبنية على العقل

والحكمة ، وهذا الأمر هو الآخر ما زالت تتأكد صحته منذ خمسة عشر قرناً من الزمان، لقد نزل القرآن الكريم قبل عصر العلم .. ولكن لم يمكن لأحد بعد - حتى في عصرنا العلمي هذا - أن يعثر على نصٍ من نصوص القرآن يتنافى مع العقل .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الكون هذا الذي يحيط بنا من كل جانبٍ، ويمتد إلى مالا نهاية، قد صار بكل ما فيه مصدقاً برسالة القرآن ، بيد أن هذا التصديق لن يكون تصديقاً إلا للذين يتمتعون بعقلية التيقّن والاقتناع، والذين يملكون الاستعداد لإدراك الأمر وهو يُعرض عبر الآيات والإشارات !!

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾

وَيْلٌ : هلاك أو حسرة أو شدة عذاب .

أَفَّاكٍ أَثِيمٍ : كذاب كثير الإثم .

اتَّخَذَهَا هُزُواً : سخرية أو مهزوءا بها .

وَلاَ يُغْنِي : لا يدفع عنهم .

رِجْزٍ : أشد العذاب .

الاعتراف بالحق يكون، في معظم الأحوال، مرادفاً للتخلي عن كبرياء الذات، وبما أن المرء لا يرضى بالتخلي عن كبريائه، لذا فهو لا يوفق إلى الاعتراف بالحق ، ولكن

الإباء عن الخضوع للحق إباء عن الخضوع لله، ولأمثال هؤلاء عذاب شديد عند الله عز وجل ! والمرء وإن كان يعرض عن الحق بدافع الاستكبار، إلا أنه طالما يتقدم بالدليل النظري تبريراً لمواقفه، غير أن هذا الدليل لا يخرج عن كونه ترديد ألفاظ كاذبةٍ ، فإن شخصاً كهذا يعمد إلى شيءٍ ما ويتخذ منه موضع الطعن والعيب بتأويله على غير وجهه، ثم يأخذ في الاستهزاء والتهكم من الحق، ومن الداعي إليه بناء على ذلك المطعن أوْ العيب المفتعل ، وأمثال هؤلاء يستحقون أشد العذاب وأقساه، لأنهم يزيدون التمرد والطغيان إلى جانب المعصية وسوء العمل ، والأمر الذي يدفع هؤلاء إلى الطغيان هو مركزهم الدنيوي، غير أن المركز الدنيوي لن يغني عن صاحبه في الآخرة فتيلاً !

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

إن الماء – على ما يبدو – شيء مغرق ، ولكن الله تعالى قد جعله خاضعاً لنواميس تمكن السفن والباخرات العملاقة أن تسير على سطح البحار والمحيطات الهائلة من جهةٍ إلى أخرى وتصل إلى مقاصدها بسلامٍ ، وهذا هو شأن الكون بأسره ، فقد جُعل الكون بما فيه مسخراً لخدمة الإنسان، بحيث يستطيع الإنسان أن يستخدمه في تحقيق شتى مآربه كما يشاء، وميزة العالم الراهن هذه هي التي مكنت الإنسان من أن يشيّد هنا صرح المدنية والحضارة الرائع ، وإن هيكل الكون الحالي ليس هو هيكله الوحيد والنهائي، إذْ كان من الممكن أيضاً أن يتم تشكيله بطرق أخرى مختلفة لا تقع تحت الحصر ، ولكن من بين احتمالات كثيرة شتى، إنما تحقق على صعيد الواقع الفعلي احتمال واحد ، وهو الذي كان مفيداً وملائماً لنا نحن البشر !! إن هذه آية، لو وقف عندها

أرباب البصر و البصيرة متأملين لوجدوا فيها درساً عظيماً !

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله : لا يتوقعون وقائعه بأعدائه .

إن الذين لا يوقنون بأن يوم الدينونة أوْ القضاء الإلهي آتٍ عليهم لا محالة، تبلغ منهم الجراءة على ممارسة الظلم والعدوان مبلغاً عظيماً ، حيث إنهم لا يدعون أي طريق ممكن لإلحاق الأذى والضرر بداعي الحق إلا سلكوه ، وعندها تستيقظ في نفس الداعي بواعث الانتقام، ولكن ينبغي للداعي أن يقابل المدعو على أذاه بالعفو والصفح عنه حتى اللحظة الأخيرة ، وأن يركز اهتمامه كله على الدعوة وحدها ، مفوضاً أمر مؤاخذة الناس على سوء أعمالهم إلى الله جل جلاله ، وإن كفاح الداعي لا يتم تقييمه وتقديره باعتبار النسبة العددية لأولئك الأفراد الذين استطاع جذبهم إلى دائرة الحق، وإنما يتم تقييم كفاحه وتقديره عند الله سبحانه بالنظر إلى شدة تمسكه بالحق، وإلى مدى وفائه بمقتضيات كونه داعياً إلى الحق !

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

بَغْياً بَيْنَهُمْ : حسدا وعداوة بينهم .

شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ : طريقة ومنهاج من أمر الدين .

لَن يُغْنُوا عَنكَ : لن يدفعوا عنك .

بَصَائِرُ لِلنَّاسِ : بينات تبصرهم سبيل الفلاح .

إن قوله: ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ - أي بني إسرائيل - هو نفس ما جاء في شأن الأمة المحمدية ، حيث قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... ﴾ [آل عمران ١١٠] إن تحميل شعب ما أمانة الكتاب الإلهي بمثابة تعيين له مسئولاً عن هداية الشعوب الأخرى ، وهذا هو معنى كونه أفضل الأمم أوْ خير الأمم ، وقد كان لبني إسرائيل - من الناحية المبدئية - اعتبار عالمي تماماً كما هو شأن الأمة المسلمة ، غير أن بني إسرائيل لم يلبثوا أن فقدوا استحقاقهم لذلك بإدخال التحريفات على كتابهم .

إن تعاليم الدين الجوهرية تتسم دائماً بالوحدة ، ولكن إضافات العلماء تحدث فيها الاختلاف والتعددية ، حيث يأتي كل عالمٍ بإضافةٍ جديدةٍ بحسب ذوقه وميوله ، ثم ينشغل هذا العالم وأتباعه بعد ذلك في إثبات صحة إضافاتهم وتخطئة إضافات الآخرين، ومن هنا تبدأ الفرق الدينية بالتشكل ، ويصل الأمر في نهاية المطاف إلى انقسام الدين الواحد إلى أديانٍ شتى .

ولما أحال بنو إسرائيل الدين المنزّل إلى دينٍ محرّفٍ، أنزل الله سبحانه على محمد ﷺ هذا القرآن ، وإذْ لم يكن سيُبعث بعده - عليه الصلاة والسلام - نبي ولا رسول، فقد عني الله - سبحانه وتعالى - عناية خاصةً بحفظ القرآن الكريم وصيانته من التحريف، حتى لا تتكرر تلك المأساة من جديدٍ بأن يضيع دين الله في خضم الإضافات البشرية !

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ : اكتسبوا المعاصي والكفر .

إن مَن يزعم أنه سواء عليه أكان يعيش هنا صالحاً أمْ طالحاً، إذْ ينتهي أمره في كلا الحالين إلى الموت والفناء، فإنما يبني في دماغه فكرةً خاطئةً للغاية ، إن زعماً كهذا يتعارض مع الشعور بالعدل، الذي يكمن في فطرة كل إنسانٍ بصورة جبليةٍ . وزد على ذلك أنه إنكار لروح الكون التي تسري في نظامه وتشمل موجوداته . والحقيقة هي أن فطرة الإنسان الداخلية والكون الفسيح المحيط به من الخارج، كلاهما، يدمغ الفكرة القائلة بأن الحياة عبث محض، ليس وراءها غاية معينة أوْ مصير هادف معلوم !!

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أَفَرَأَيْتَ : أخبرني .

غِشَاوَةً : غطاء حتى لا يبصر الرشد .

اتخاذ الهوى إلهاً معناه : أن تعطي لهواك المقام الأول والأسمى في حياتك. إن من يفكر تبعاً لهواه، ويعمل بمقتضاه، فكأنما قد اتخذ من هواه إلهه . إن عقل الإنسان مزود بالقدرة التامة على تمييز الحق من الباطل ، بيْد أن الشخص الذي يجعل عقله تابعاً لهواه، يصل به الأمر إلى حيث إنه يرى دلائل الحق ساطعةً متجليةً أمامه، ولكنه لا يكاد يستشعر بثقلها ، فيرفض كل دليلٍ مستنداً على بعض التأويلات الكاذبة الواهية ، وسلوك الإنسان هذا لا يلبث أن يطمس قواه العقلية كلها، إذْ تعود أذناه تسمعان

الألفاظ ولكن من غير إدراكٍ لمعانيها ، وعيناه تبصران الحقيقة، إلا أنهما تعجزان عن استلهام الدرس أوْ العبرة منها ، وقد يصل كلام بليغ مؤثر إلى قلبه، ولكنه لا يكاد يهز مشاعره أوْ يحرك منه ساكناً !!. لقد جعل الله من القوى العقلية مدخل الهداية ، ولكن الشخص الذي يغلق هذه الأبواب لانغماسه في عبادة هواه، فمن أي طريقٍ يستدخل الهداية الإلهية إلى قلبه ؟!

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ ليس هذا بقول عامة الناس ، وإنما يردد أقاويل كهذه دوْماً أفراد من صفوة الناس ، وهم الذين غالباً ما يحتلون مركز القيادة الفكرية في المجتمع بسبب ذكائهم ، غير إنهم إنما يقولون ذلك بناءً على الظن والقياس ، وليس بناء على أي علمٍ حقيقي ، وفي مقابل ذلك فإن ما يأتي به الرسول يكون مبنياً على أساسٍ من الحقيقة الصلبة .

إننا نشاهد كل يومٍ أن شخصاً يولد فيدخل في حيز الوجود بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم يعتريه الموت بعد ذلك مرةً أخرى فيعود غير موجودٍ،وعليه فكأن كل امرئ هنا ينال الحياة بعد "موتٍ" ، ويموت مرة أخرى بعد الحياة ، وهذه قرينة تشير إلى أنه كما كانت الحياة بعد الموت أول مرةٍ ، كذلك ستكون حياة بعد الموت مرةً أخرى . ومن هذا يثبت إمكان الحياة بعد الموت بوضوحٍ تامٍ .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ

﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

جَاثِيَةً : باركة على الركب لشدة الهول .

كِتَابِهَا : صحائف أعمالها .

نَسْتَنسِخُ : نأمر الملائكة بنسخ .

القائمون على أساسِ الله في الدنيا إنما يقومون على أساسٍ من الحق . أما الذين قاموا هنا على أساسٍ آخر سواه، فإنهم قائمون على أساسٍ من الباطل ، وأمثال هؤلاء سيعودون في الآخرة بلا موطئ قدمٍ يستقرون عليه؛ ذلك لأن الشيء الذي ظنوه في الدنيا "أساساً"، لم يكن من الأساس في شيءٍ ، وإنما كان خداعاً محضاً ، فحين تجلى وجه الحقيقة اختفى وتلاشى. والمراد بـ "استنساخ الأعمال" ليس هو الاستكتاب بالقلم بمعناه المعروف، وإنما هو تسجيل للأعمال ، حيث يتم تسجيل نيات الإنسان وأقواله وأفعاله ، أولاً بأول ، وفق تدبير إلهي بمنتهى الدقة ، وعلى حسب هذا التسجيل ذاته ستكون معاملة الإنسان في الآخرة سلباً أو إيجاباً ، وسيكون هذا التسجيل دقيقاً وحقيقياً لدرجةٍ لن يستطيع معها أحد أن ينكره هناك!!

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

ليس المراد بالاستكبار هنا هو الاستكبار بإزاء الله ، وإنما بإزاء الداعي إلى الله ،

حيث إن الإيمان بأمر الله في العالم الراهن يكون عملياً مرادفاً للإيمان بأمر الداعي ، وعليه فالمصابون بداء الاستكبار ربما يستشعرون بالدون أو يعتبرون عاراً عليهم أن يؤمنوا بقول إنسانٍ مثلهم ، ومن ثم يقابلوه بالإهمال والإعراض ، وعلى نقيضٍ من ذلك فإن الذين تخلو صدورهم من نفسية التكبر والاستعلاء ، سرعان ما يخضعون له ، إن الطائفة الأولى تستحق غضب الله ، بينما تستحق الطائفة الأخيرة رحمة الله .

وإن شخصاً عندما ينكر الحق ، فيلجأ إلى ترديد ألوانٍ شتى من الأقاويل تبريراً لإنكاره، إذْ يحاول تارةً إثبات أن الداعي ممن لا يوثق به ، ويثير طوراً بعض الشكوك أو الشبهات المفتعلة حول رسالته، إلا أنه سينكشف يوم القيامة بجلاءٍ أن كل هذه كانت أقاويل خرجت من العقلية الإجرامية العنيدة ، وليس من العقلية الجادة المحبة للحق!!

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَحَاقَ بِهِم : نزل أو أحاط بهم .

نَنسَاكُمْ : نترككم في العذاب .

وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ : منزلكم ومقركم النار .

وَغَرَّتْكُمُ : خدعتكم ببهرجها .

يُسْتَعْتَبُونَ : يطلب منهم الرجوع إلى ما يرضي الله .

إن المرء حين يمارس عملاً سيئاً ما في العالم الراهن ، فلا يواجه عاقبته الوخيمة من

فوره؛ مما يجعله يزداد جراءة على ارتكاب المعصية وفعل السوء ، وإذا تم تخويفه من نتائج سوء العمل ، فلا يكاد يصغي إلى هذا التخويف بجديةٍ، غير أن نتائج سيئاته ستكون حاضرةً أمامه في الآخرة ، وسيجد نفسه وقد حُوصر بسوء أعماله من كل جانبٍ، وعندها سوف لا يلبث أن يبادر بإقرار الحق الذي كان قد اعتبره من الهوان والخسّة بحيث لم يزل يستهزئ به طول حياته .

وسيقر الإنسان في الآخرة بالحق الذي ظل ينكره ويكذبه في الحياة الدنيا، غير أن ذلك لن يحظى بالقبول هناك، ذلك بأن الإقرار بالحق لا قيمة له إلا إذا تم على مستوى الغيب وليس على مستوى الشهود .

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ : العظمة والملك والجلال .

لما كان خالق الكون ، ومالكه واحداً ليس غير ، وجب أن يكون الحمد كله له وحده ، وأن يوجه الإنسان اهتمامه بكليته إليه وحده ، وأن يتخذه هو كل شيءٍ في حياته .